القدّيس ثيوفيلوس الأنطاكي

سيرته وتعاليمه

- وُلد ثيوفيلوس على ضفاف الفرات من أبوَيْن وثنيّين.
- تلقّى تعليمًا يونانيًّا أصيلاً.
- كان على اطّلاع كبير بعلوم عصره والشّعراء والفلاسفة اليونان.
- تعرّف إلى الأسفار المقدّسة التي تنبّأ بها الأنبياء بإلهام الرّوح القدس.
- على الرغم من تأثّره الواضح بالمسيحيّة المتهوّدة، فقد دخل المسيحيّة بعد بلوغه سنّ الرّشد وبعد أن درس الأسفار المقدّسة وتأمّل فيها مليًّا.

- هوَ الأسقف السّابع لإنطاكية سنة 169م.
- يطغى على أعماله طابع الحثّ وليس الدفاع، أمّا لاهوته فيطغى عليه بقوّة طابع الأخلاق وليس العقيدة.
- كان الوثنيّون يَصِلون عبره إلى الحقيقة عن طريق النّباهة وطهارة النفس.
- يُصنَّف ضمن الآباء المدافعين.
- توفي قرابة العام 190م.
- تعيِّد له الكنيسة المقدّسة في السادِس من كانون الأول.

تعاليمه

- بالنسبة له ما يعيق معرفة الله هي الخطيئة، كلّ شيء يتوقّف على الإنسان.
- يوافق ثيوفيلوس يوستينوسَ في أنّ خلودَ النّفس يُعطى كمكافأةٍ على حفظ وصايا الله.
- المسيحيّة ليست فكرًا ولا فلسفة بل هي سير في درب القداسة.

قيامة الموتى

- قبل اعتناقه المسيحيّة كان مرتاباً ومشكّكاً في أمر القيامة، هذا نستدلّه من رسالته الأولى إلى أفتوليكوس:

"ولا تكن مُشَكِّكاً مُرتاباً كن مؤمناً. فإنّي أنا أيضاً كنت أشكّ في قيامة الموتى ولكنّي الآن بعد أخذ هذه الأمور بعين الاعتبار أصبحتُ مؤمناً.

أعماله

- كتب ثيوفيلوس مُؤلَّفات عدّة ضد ماركيون(1) وهرموجنّس.

- يوجد لثيوفيلوس محاضرات ألقاها على الموعوظين، وتفاسير على سفر أمثال سليمان وعلى الأناجيل.

- من هذه المؤلَّفات العديدة التي كتبها ثيوفيلوس لم يصلْنا سوى ثلاثة مؤلَّفات، وهي رسائله الثّلاث إلى أفتوليكوس(2).

1- يمكن مراجعة القديس بوليكاربوس (الجزء الخامس)

الرّسائِل الثّلاث

الرّسالة الأولى

- تُعتبر لاهوتيّة ودفاعيّة في آن واحد، الحديث فيها يدور حول معرفة الله وعنايته: الله لا يراه إلا أولئك الّذين تفتّحت عيون أرواحهم فتمكّنوا من مشاهدته، ولجميع النّاس أعين ولكن على بعضها غشاوة فلا تُبصر نور الشمس.

الرّسالة الثّانية

- تقدّم عرضًا نقديًّا لتفاهات الدّيانة الوثنيّة. وذلك بمقارنتها بين الميثولوجيا الوثنيّة وتعاليم الفلاسفة المتناقضة فيما بينها في ما يتعلّق بالآلهة وبدء العالم، مع التّعليم الواحد للأنبياء الّذين نطقوا بإلهام الروح القدس والتّاريخ القديم في خلق العالم والبشر.

الرّسالة الثّالثة

- تركّز على النّواحي الأخلاقيّة، فتدحض اتّهامات الوثنيّين الّذين يشكّكون بأخلاق المسيحيّين وتظهر تفوّق المسيحيّة على الآداب والأخلاق الوثنيّة.تستخدم الأدلة التاريخيّة كي تثبت أسبقيّة المسيحيّة، بالدّليل التّاريخي للعهد القديم ففي هذا العهد استُعلنت معرفة الله بوساطة الأنبياء وتحقّقت وتسجلّت في الأناجيل.

لاهوت ثيوفيلوس

- استخدم ثيوفيلوس مفردات ومصطلحات لاهوتيّة جديدة.
- أوّل من ميَّز بين "اللوجوس" كأقنوم في الله وبين "اللوجوس" ككلمة ينطقها أو يُرسلها الله، فالكلمة هو الذي خاطب آدم. وهو تمييز سوف يؤدّي دوراً هاماً فيما بعد في شرح الفكر اللّاهوتي عن الثّالوث.
- أوّل من استعمل كلمة "ثالوث- Τριάς" في تاريخ المسيحيّة.
- في كلامه عن الثّالوث، كان ثيوفيلوس أيضًا أوّل من ميّز بين "الكلمة" Λόγος المستقر في أحشاء الله (ενδιάθετος) وبين "الكلمة" Λόγος الذي لفظه الله (Λόγος προφορικός).

- الثّالوث لديه: الله، الكلمة والحكمة.

- الكلمة "هو إله كائن (θεός ων) أرسل من قبل الله إلى العالم حيث "شوهد وسُمع ... وفي مكان ما تواجد". ويستخدم ثيوفيلوس كلمة "صوفيا"، أي الحكمة، ليشير إلى الرّوح القدس.

- الله خالق، وليس مجرّد صائغ للمادّة الأولى في الكون، الله غير مخلوق، وآب وصانع كلّ الأشياء.

- من أوّل الكتّاب الّذين اعتبروا أنّ أسفار العهد الجديد موحًى بها كأسفار العهد القديم. وكتب بصراحة بأنّ الإنجيليّين هم "حملة الرّوح"، ومُلهمون من الله كما كان الأنبياء في العهد القديم.
- اعتبر رسالة القدّيس بولس إلى أهل رومية والرّسالة الأولى إلى تيموثاوس "كلاماً إلهيّاً".
- وافق ثيوفيلوس، يوستينوس في أنّه اعتبر خلود النّفس مكافأة لها لحفظ الوصايا. فالنّفس في حدّ ذاتها لم تكن خالدة أو خاضعة للموت ولكنّها كانت قابلة لأن تخلدَ أو تموت.

الخاتمة

- **نختم الموضوع بقول للقدّيس:**

إنّ كلّ الّذين يعشقون الحقيقة في هذا العالم الّذي تعصُف به الخطايا لا يجدون ملجأ لهم إلّا في كنائس الله المقدّسة.

طروباريّة القدّيس

- لقد أظهرَتْك أفعالُ الحقّ لِرَعيتِك، قانونًا للإيمانِ وَصورَةً للوَداعَةِ وَمُعَلِّمًا للإمساك، أيُها الأب رئيسُ الكَهنةِ ثيوفيلوس، لِذلك أحرزتَ بِالتّواضُعِ الرّفعة وَبِالمسكنةِ الغِنى، فَتشفَّع إلى المَسيحِ الإله في خَلاصِ نُفوسنا.

- **المراجع**

- الأرشمندريت الرّاهب بيطار، توما، سير القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسيّة (السنكسار)- الجزء الثاني سنة 1997
- الأخ المتوحّد د.غريغوريوس إسطفان، علم الآباء.
- www.syrianoz.com